العصر البرونزي في الجزء الغربي من إقليم جعلان بسلطنة عمان

ناصر سعيد الجهوري

ملخص: تناقش هذه الورقة النتائج الأولية للموسم الأول من مشروع المسح الأثري، الذي أجري في الجزء الغربي من إقليم جعلان بالمنطقة الشرقية من سلطنة عمان. تسلط الورقة الضوء على نمط الاستيطان وعادات الدفن في العصر البرونزي المبكر في هذا الجزء من شبه الجزيرة العمانية. وقد أثمر المسح عن توثيق عدد كبير من قبور العصر البرونزي المبكر، وتحديدا فترة حفيت. ويقترح هذا وجود كثافة عالية للاستيطان، إلا أنه لا يوجد دليل على أي بقايا سكنية تعود إلى هذه الفترة في هذا الجزء من الإقليم. إن هذا الدليل لا يسمح بإعطاء صورة شاملة عن نمط الاستيطان في هذا الإقليم، ويطرح تساؤلات تم استعراضها ومناقشتها في هذه الورقة.

Abstract: This paper presents the preliminary results of the first season of archeological survey in the western part of Ja'alan in Oman. It discusses the settlement pattern and funerary practices of the Early Bronze Age (EBA) in this part of the Oman Peninsula. The survey has yielded a large number of EBA (Hafit Period) funerary, suggesting a high density of occupation. However, no settlement remains have so far been found in the study area. This absence of evidence prevents our understanding of the settlement pattern in this area, and it raises certain questions which this paper presents and discusses.

مقدمة

تستعرض هذه الورقة النتائج الأولية للموسم الأول من مشروع المسح الأثري الذي أجري بالمنطقة الشرقية من سلطنة عمان في الجزء الغربي من إقليم جعلان، وشمل – على وجه التحديد – الجزء الشرقي والشمالي من جعلان بني بوحسن، والجزء الشرقي من الوافي (الخريطة ١). إن الهدف من وراء هذا العرض بيان أن هذه النتائج قد دفعت بنا إلى طرح تساؤلات حول نمط الاستيطان وعادات الدفن في العصر البرونزي المبكر، فمن المهم عرض هذه النتائج لطرح تلك التساؤلات والتعرف على مدى إمكانية الإجابة عنها، في ضوء ما تم اكتشافه إلى الآن في المناطق التي تم مسحها، من دون الحاجة إلى توسعة نطاق المسح الأثري في المناطق الأخرى، المحيطة بالمناطق التي تم مسحها؛ فإذا لم تكن هناك إجابة لبعض أو كل هذه التساؤلات؛ فهل العمل القادم في المناطق الأخرى من الجزء الغربي من إقليم جعلان سيجيب على هذه التساؤلات؟

ثمة زيارة أولية للمنطقة في عام ٢٠٠٢م كشفت عن معلومات مهمة عن المنطقة وتاريخ استيطانها؛ إذ لوحظ

الخريطة ١: خريطة عامة توضح الجزء الغربي (المربع الأسود) من إقليم جعلان.

(ص ص ٧-٢٢) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩

عدد من الشواهد الأثرية التي تحتاج إلى توثيق بشكل سريع وعاجل؛ من بينها مقابر من فترات ما قبل الإسلام ومقابر إسلامية وبقايا مستوطنات وأبراج من فترات زمنية مختلفة، إضافة إلى عدد كبير من الرسومات الصخرية التي عثر عليها في أحد أودية المنطقة. هذه الزيارة الأولية سمحت لنا بتأريخ النشاط البشري الاستيطاني في المنطقة إلى الفترة الممتدة من نهاية الألف الرابع قبل الميلاد ربما إلى الفترات الإسلامية الحديثة. كما سمحت لنا كذلك بالتعرف على طوبرغرافية المنطقة والتشكيل والتكوين التضاريسي الخاص بها، ومن ثم التعرف على واقع المناطق الأثرية وحالتها الراهنة في المنطقة والعوامل التي قد تؤدي إلى تدهورها.

إن آثار الجزء الغربي من إقليم جعلان غير موثقة بشكل كامل في السجل الأثري؛ لأن المنطقة لم تتم دراستها جيدا. فهذا الجزء من عُمان لم يلق نصيبا مناسبا من المسح والتوثيق؛ إذ تمت زيارة منطقة جعلان بني بوحسن أثناء تنفيذ مشروع الحدّ المشترك في الثمانينيات من القرن العشرين، وقد عُثر حينئذ على بعض الشواهد الأثرية، مثل: حقل مدافن كبير لقبور من نوع الركامات الحجرية (Edens 1990). وهذا الحقل لا يمثل إلا ١٪ من حقول المدافن الأخرى التي توجد بالمنطقة، كما أن معظم الأودية في المنطقة لم تتم دراستها من قبل، ومنها على سبيل المثال وادي الجفر، الذي عثر فيه على عدد كبير من الرسومات الصخرية. ومع استثناء هذا العمل لا يوجد ما يمكن أن نستند إليه للحديث عن تاريخ البحث الأثري في المنطقة.

كما أن الشواهد الأثرية في المنطقة تقع تحت تأثير وتهديد عوامل التجوية والنشاطات البشرية التي دمرت جزءاً من هذه الآثار؛ ولعل من بين هذه العوامل التي تم ملاحظتها أثناء الزيارة في عام ٢٠٠٢م التعرية الناتجة عن فيضان الأودية والأمطار والرياح وغيرها من الظروف البيئية، إضافة إلى عوامل بشرية تمثلت في تجريف المدافن بالجرافات التي تعمل أثناء شق الطرق، وكذلك استغلال جزء من المنطقة لمحجر لاقتلاع الحجارة ونقل التربة، فضلا عن أن جزءاً من المنطقة التي تضم عدداً كبيراً من حقول المدافن وزعت على هيئة أراض سكنية للمواطنين، وبدأ هؤلاء فعلا في تشييد منازلهم.

وبناء على كل هذه المعطيات المذكورة أعلاه، كان لابد من العمل على توثيق تاريخ الاستيطان في المنطقة من خلال الكشف عن المواقع والملامح الأثرية وتسجيلها، وإجراء بعض المجسات الاختبارية على بعض الشواهد الأثرية المهمة، وذلك قبل أن يتم تدميرها نهائياً؛ وإلا سيضيع جزء مهم من آثار المنطقة كان يمكن أن يساعدنا في فهم مستويات النشاط الاستيطاني في المنطقة كلها. من هنا، تم إجراء هذا المسح الذي سنتناول نتائجه الأولية في هذه الورقة.

تحاول هذه الورقة استعراض نتائج الموسم الأول من المسح الذي أجري في الجزء الغربي من إقليم جعلان في الفترة من ١٣ يناير إلى ٣ فبراير ٢٠١٠م (الخريطة ١)؛ لمعرفة الأهمية الأثرية لهذا الجزء من إقليم جعلان، ودوره في تعزيز فهمنا لتاريخ الاستيطان الذي حدث عبر الزمن، ليس في هذا الجزء فحسب بل في كل الإقليم. تحاول الورقة أيضا فهم العلاقة بين المستوطنات والقبور عبر الزمن، وبخاصة في فترة حفيت الممثلة بكثرة في حقول المدافن الكبيرة ونقص في المستوطنات.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك- كما ذكرنا سابقا- عدداً من الشواهد الأثرية مختلفة الأنواع تم الكشف عنها في المنطقة؛ إلا أن هذه الورقة ستركز على حقول المدافن الكبيرة التي تنتشر في كل المنطقة قيد الدراسة تقريبا؛ بل تتجاوزها إلى حدود المناطق الأخرى؛ فهي ممتدة وتكاد لا تنقطع؛ لذلك تحاول الورقة تحديد مواقعها، وفهم توزيعها وكثافتها، ومستوى النشاط الذي تمثله، ودلالاته الحضارية. هذه المدافن تعود غالباً إلى فترة حفيت (نهاية الألف الرابع-بداية الألف الثالث قبل الميلاد) أي الفترة المبكرة من العصر البرونزي، وهي - كما سنرى لاحقاً - عبارة عن ركامات حجرية أو على شكل خلية نحل.

إن فهمنا لنمط الاستيطان الخاص بسكان هذه القبور غير واضح ومحيّر، ويحتاج إلى تكثيف العمل على هذه الحقبة المهمة من تاريخ شبه الجزيرة العمانية (الجهوري ٢٠١٠م).

العصر البرونزي في شبه الجزيرة العمانية

عندما نتحدث عن العصر البرونزي (نحو ٣٥٠٠-١٣٠٠ ق.م) في شبه الجزيرة العمانية؛ أي الفترة الواقعة ما بين

نهاية الألف الرابع ونهاية الألف الثاني قبل الميلاد- فإننا نتحدث عن ثلاث فترات محلية، هي: حفيت (حوالي ٣٥٠٠-٢٥٠٠ ق.م)، وأم النار (٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م)، ووادي سوق (٢٠٠٠-١٣٠٠ ق.م)؛ إذ أن كل فترة تتميز بنمط وكثافة مختلفة من الاستيطان، وتعد فترة أم النار هي الفترة التي بلغت فيها كثافة الاستيطان ذروتها في العصر البرونزي (al-Jahwari 2008, 2009). الدليل المكتشف من الموسم الأول من المسح الأثري، الذي أجري في الجزء الغربي من إقليم جعلان إلى الآن أثمر بالعثور على أدلة أثرية من فترة واحدة فقط هي حفيت، وهي ممثلة في عدد كبير من القبور؛ إلا أن المسوحات والتنقيبات الأثرية التي أجريت منذ سبعينيات القرن العشرين بشكل عام في إقليم جعلان (انظر تاريخ البحث الأثري) تشير إلى أن كل فترات العصر البرونزي ممثلة في هذا الإقليم. فهناك مستوطنات ومقابر وأدلة أخرى من فترة حفيت كما هو الحال في رأس الحد HD-6 (Cleuziou 2003: 141) ورأس الحد HD-10 (Salvatori 2001). ورأس الجنز RJ-6 (Cleuziou & Tosi 1990a–b)، وفترة أم النار كما في الدفة (DFH-25) وأصيلة ورأس الحد (HD99و HD21و HD1) ورأس الجنز (RJ-1 وRJ-2 وRJ-٣ وRJ-6 وRJ-10) والرويس (RWY-2) Cleuziou & Tosi 1985: 5-8 & 2000: 19-73; Biagi 1988b & 1990;). إضافة إلى فترة وادي سوق، على غرار مواقع خور جرامة (KJ3) ورأس الحد (HD1) ورأس الجنز و RJ-2وRJ-1) RJ-21) Cleuziou & Tosi 1985: 5-8, 1994: 1-4 & 2000; Biagi 1988b & 1990: 4-10;). ولعله من المهم الإشارة هنا إلى أن إقليم جعلان هو من المناطق القليلة جداً في شبه الجزيرة العمانية التي قدمت بقايا سكنية من فترة حفيت (رأس الحد HD-6 (Cleuziou 2003: 141)، إذ إن خمسة عقود من العمل الأثري في شبه الجزيرة العمانية لم يكشف إلا عن ثلاثة مواقع قدمت بقايا سكنية من هذه الفترة؛ فإضافة إلى رأس الحد هناك أيضاً هيلي ٨ (Cleuziou 1981; 1989a; 1989b). ومؤخراً بات (Possehl, Thornton & Cable 2009).

على الرغم من وجود جدل بين العلماء العاملين في آثار شبه الجزيرة العمانية فيما يتعلق بالتسلسل والتقسيمات الزمنية الخاصة بالعصر البرونزي، إلا أنه يمكن تجميع آراء العلماء في هذا الشأن Velde 1992, 2003; Carter 1997a-b; Cleuziou 2002; Jahwari 2008: 51-65)) بحيث نستطيع تقسيم هذا العصر في شبه الجزيرة العمانية إلى ثلاثة مراحل، هي: العصر البرونزي المبكر (حوالي ٣٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م)، والوسيط (حوالي ٢٠٠٠-١٤٥٠ ق.م)، والمتأخر (حوالي ١٤٥٠-١٣٠٠ ق.م) (انظر الجدول ١). وعادة ما يضم العصر البرونزي المبكر فترتي حفيت وأم النار، بينما يضم العصر البرونزي الوسيط فترة وادي سوق الكلاسيكية أو المبكرة، وأما العصر البرونزي المتأخر فيشمل فترة وادي سوق المتأخرة.

من المتعارف عليه في الوسط الأثري أن العصر البرونزي المبكر في شبه الجزيرة العمانية بدأ بإنشاء عمارة القبور التي يتميز بها المشهد الأثري الجنائزي (funerary landscape) لهذا العصر، فالدليل الأثري يشير إلى وجود عدد ضخم من القبور البارزة على السطح التي تأخذ شكل الركامات الحجرية وخلايا النحل أو أبراج شيدت في مواضع مختلفة، وبخاصة تلك المشيدة على قمم التلال والهضاب الصخرية والحصوية وعلى حوافها ومنحدراتها وسفوحها، ما أعطاها خاصية كونها سهلة التمييز حتى من مسافات بعيدة. وهذه خاصية تميز كل مراحل العصر البرونزي بدءاً من فترة

العصر	التأريخ	العصر	التأريخ	الفترة الفرعية	التأريخ
العصر البرونزي	٣٥٠٠/٣٤٠٠ -١٣٠٠ ق.م	العصر البرونزي المبكر	٣٥٠٠/٣٤٠٠ -٢٠٠٠ ق.م	فترة حفيت	٣٥٠٠/٣٤٠٠-٢٥٠٠ ق.م
				فترة أم النار	٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م
		العصر البرونزي الوسيط	٢٠٠٠-١٤٥٠ ق.م	فترة وادي سوق الكلاسيكية أو المبكرة	٢٠٠٠-١٤٥٠ ق.م
		العصر البرونزي المتأخر	١٤٥٠-١٣٠٠ ق.م	فترة وادي سوق المتأخرة	١٤٥٠-١٣٠٠ ق.م

الجدول (١) التسلسل الزمني وتقسيمات العصر البرونزي في شبه الجزيرة العمانية.

حفيت إلى فترة وادي سوق، ما يميزها عن قبور العصر الحجري الحديث التي كانت تشيد في باطن الأرض في حفر بيضاوية ليست عميقة وغالباً ما تكون جزءاً من المستوطنة السكنية كما هو الحال في موقع رأس الحمراء ٥ في منطقة القرم على الساحل (Salvatori 2007)، وموقع البحيص ١٨ في الشارقة في الداخل (Uerpmann, Uerpmann & Jasim 2000, 2006). وهذا بطبيعة الحال يشير إلى تغير في أنماط الاستيطان وتطور عمارة الدفن.

اكتشفت قبور العصر البرونزي المبكر لأول مرة في جبل حفيت في واحة البريمي-العين بواسطة البعثة الدنمركية في السبعينيات من القرن العشرين، إذ تم التنقيب في بعضها وعثر على أوانٍ فخارية من فترة جمدة نصر في بلاد الرافدين (cf. Frifelt 1970, 1975a–b)، ما أدى إلى تأريخ بناء هذه القبور إلى نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد؛ ومن هنا، سميت هذه الفترة بفترة حفيت تيمنا بالموقع الذي تم فيه اكتشافها لأول مرة. بعد هذا الاكتشاف، تم التنقيب في قبور أخرى مشابهة في مناطق أخرى من عمان منها القبور المعروفة بقبور خلايا النحل التي اكتشفت لأول مرة في بات بعبري (cf. Frifelt 1975a; 1975b; 1976) وذلك أيضاً بواسطة البعثة الدنمركية، وقدمت هذه المقابر مواد من فترة جمدة نصر (بداية الألف الثالث قبل الميلاد) مستوردة من بلاد الرافدين، ما سمح لكارن فرايفلت (Karen Frifelt) باقتراح أن هذه القبور تمثل مرحلة انتقالية بين قبور حفيت ذات الركامات الحجرية وقبور فترة أم النار اللاحقة (cf. Frifelt 1975a: 69). وعثر في مقابر فترة حفيت أيضاً على بقايا هياكل عظمية تشير إلى أن الدفن كان جماعياً في غرفة دفن واحدة، إذ بلغ أكبر عدد من الأشخاص المدفونين في هذه الغرف- والذي تم التعرف عليه إلى الآن- نحو ٣٠ فردا (Salvatori 2001). على الرغم من ذلك، فإن الدليل الأثري من هذه الفترة حيّر العلماء لفترة طويلة، نظراً لوجود آلاف من هذه القبور المنتشرة في كل أنحاء شبه الجزيرة العمانية، إلا أن هناك نقصاً في البقايا السكنية (الجهوري٢٠١٠؛ al-Jahwari 2008: 60-61) - فكما ذكرنا فيما سبق- هناك فقط ثلاثة مستوطنات عثر عليها إلى الآن من هذه الفترة.

في فترة لاحقة من العصر البرونزي المبكر (فترة أم النار) تطورت عمارة القبر؛ إذ شيدت قبور جماعية متعددة الغرف بعد أن كانت قبوراً ذات غرفة دفن واحدة في فترة حفيت السابقة، وأصبحت القبور الجديدة أكثر تعقيداً من حيث الحجم والشكل العام، وعدد الغرف (ما بين غرفتين إلى عشر غرف في بعض الأحيان)، ومن حيث عدد عمليات الدفن التي وصل أكثرها إلى نحو ٤٠٠ فرد كما كان الحال في قبر أونار ١ (Unar 1)(٤٣٨ فردا) وقبر أونار ٢ (Unar 2)(٤٣١ فردا) برأس الخيمة (Blau 2001, Table 1). وانفردت قبور فترة أم النار أيضاً بتخطيطها وتقسيماتها الداخلية ومداخلها التي تصل في كثير من الأحيان إلى مدخلين، إضافة إلى القوالب الحجرية الكبيرة ومتوسطة الحجم التي شكلت وشذبت بطريقة جيدة أطلق عليها «قوالب السكر» (Sugar Lumps)؛ وعلى خلاف قبور فترة حفيت فإن قبور فترة أم النار شيدت على المصاطب المنخفضة والمسطحة، والأراضي المستوية بالقرب من المستوطنات السكنية التي أصبحت أكثر انتشاراً وحضوراً من مستوطنات فترة حفيت التي لا نفقه عنها الشيء الكثير نظراً لقلتها. وتتميز مستوطنات فترة أم النار عادةً بمبانيها البرجية الضخمة التي تتنوع بين الشكل الدائري والمستطيل والمربع؛ إلا أن الشكل الدائري هو الأكثر شيوعاً، وتضم هذه المباني البرجية غالباً بئراً في وسطها، وهي مبان مشيدة من حجارة كلسية كبيرة ومتوسطة الحجم كما هو الحال في بات وبسياء والخشبة وفرق، أو من قوالب الطوب اللبن كما هو الحال في هيلي وبدية، أو مزيج من المادتين كما الحال في تل أبرق.

أما في منتصف ونهاية العصر البرونزي (فترة وادي سوق) فقد استمر تشييد القبور المخصصة للدفن الجماعي، ولكن كان هناك أيضاً توجه واضحاً إلى تشييد قبور أخرى في باطن الأرض خصصت للدفن الفردي، وتتميز هذه الفترة بتنوع عمارة الدفن (Carter 1997a: 50). فهناك أنواع مختلفة (ibid: 30-55)قسمت بناء على الشكل والخصائص المعمارية مثل القبور المبنية فوق السطح (مثل بدية في الفجيرة ونصله ٢ وغليله وشمل وضاية وأضن في رأس الخيمة)، والقبور المبنية تحت السطح (وادي سمد وميسر٩ ووادي سوق ووادي صلح وخضراء في المنطقة الشرقية، وشمل وعسيمة في رأس الخيمة)؛ أو تقسيم زمني بناء على تاريخ المواد

الأثرية المكتشفة (قبور من النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، وقبور من النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، وقبور من النصفين الأول والثاني من الألف الثاني قبل الميلاد)؛ أو تقسيم بناء على أسماء المناطق التي تم الكشف فيها عن هذه القبور، كما الحال مثلا في قبور مصيرة والخت وشمل وغليلة وغيرها. ويلاحظ أن القبور الجماعية المبنية فوق السطح تتمركز في شمال شبه الجزيرة العمانية على حين نجد القبور المخصصة للدفن الفردي المبنية تحت الأرض تتمركز في شرقي شبه الجزيرة العمانية وجنوبي شرقها وشمالها. وهذا التوزيع قد يكون برهاناً على وجود ممارسات محلية للدفن، وقد تكون له دلالات هرمية أو انعكاس للفروق بين اقتصاد وتنظيم السكان في شمالي شبه الجزيرة العمانية وجنوبيها والجنوب الشرقي (ibid: 54). وهذا ينطبق على توزيع المستوطنات السكنية في هذه الفترة، إذ إن المستوطنات ذات المباني الضخمة- مثل كلباء وتل أبرق- تتمركز في شمالي شبه الجزيرة العمانية، على حين تتمركز المستوطنات (مثال: طوي سعيد ورأس الجنز) ذات المباني بسيطة البناء مثل الأكواخ والعرائش والخيام في شرقي وجنوبي شرق (Carter 1997b: 87-96).

تاريخ البحث الأثري في إقليم جعلان:

يشير تاريخ البحث الأثري في شبه الجزيرة العمانية إلى أن بداية العمل الأثري في إقليم جعلان كانت في سبعينيات القرن العشرين، وتحديدا في مارس عام ١٩٧٥م، عندما تم زيارة موقع رأس الجنز بواسطة دبليو بيتون وبي تريدول (Mr. W. Payton and Mrs. P. Threadwell) وتم العثور على موقع رأس الجنز ٢ (RJ-2). وتأكدت أهمية الموقع الأثرية بعد العثور على كسرة فخارية منقوشة ومستوردة من السند وذلك في ديسمبر ١٩٨١م (Tosi 1982: 1-14). هذا الاكتشاف أدى في عام ١٩٨٥م إلى تشكيل بعثة إيطالية- فرنسية مشتركة تحت مسمى «مشروع الحد المشترك»، الذي تأسس لدراسة العلاقات بين عمان والهند خلال العصر البرونزي، خصوصا الفترة الممتدة من ٢٥٠٠ إلى ١٧٠٠ ق.م. ومن هنا، فنحن نتحدث عن نحو ثلاثة عقود من المسوحات والتنقيبات الأثرية في الجزء الشرقي من شبه الجزيرة العمانية، شملت المنطقة الممتدة من بندر الخيران في الشمال إلى الحدود مع إقليم ظفار في الجنوب (Biagi 1988b-c; 2004). وبعد ذلك تم التركيز على تنقيب بعض المواقع المهمة مثل رأس الحد ورأس الجنز والسويح. وأدى هذا العمل إلى تسجيل أكثر من ٤٠٠٠ معلما أثريا من فترات زمنية وأنواع مختلفة من الدليل الأثري (Giraud 2009: 6). وفي السنوات الأخيرة، بدءا من ٢٠٠٢م، أجري استطلاع مكثف وشامل لكل الإقليم الذي يغطي مساحة تمتد لأكثر من ٣٠٠٠ كيلومتر مربع، وتم تسجيل ٣٠٩٦ قبرا من قبور فترة حفيت و٩٣ قبرا من فترة أم النار (Giraud & Cleuziou 2009: 165).

الوضع الجيولوجي والبيئي للمنطقة

قبل أن نخوض في تفاصيل الحديث عن إقليم جعلان والخصائص الجيولوجية والبيئية والأثرية المميزة لهذا الإقليم، من المهم أن نحدد المقصود بمصطلح «إقليم جعلان»، على الأقل من وجهة نظر علماء الآثار، منعاً لحدوث أي لبس وغموض في الإطار المكاني لهذا الإقليم. إدارياً عندما نتحدث عن «جعلان» فنقصد به ولايتي جعلان بني بوحسن وجعلان بني بوعلي؛ ولكن بالنسبة لعلماء الآثار العاملين في آثار شبه الجزيرة العمانية، وخصوصاً بعثة الحد المشترك (الفرنسية-الإيطالية)؛ فإن مصطلح «إقليم جعلان» يقصد به الجزء الشرقي من شبه الجزيرة العمانية (الخريطة ١)، ويشمل كل المنطقة الممتدة من صور إلى رأس الحد على طول ساحل بحر عمان، ومن رأس الحد جنوباً باتجاه المنطقة الحدودية مع إقليم ظفار على طول ساحل بحر العرب. وتضم رمال الوهيبة (رمال الشرقية) شمالاً باتجاه وادي البطحاء ومنطقة الجعالين (جعلان بني بوحسن وجعلان بني بوعلي) وسلسلة الجبال المسماة بجبل خميس.

تقع جعلان (منطقة الدراسة) في المنطقة الشرقية في الحافة الجنوبية من جبال عمان على خطي عرض ‹22°00 و‹22°30 شمالاً، وخطي طول ‹59°00 و‹59°30 شرقاً، ويقع مركزها على بعد نحو ٥٠ كم جنوب صور على الساحل الشمالي الشرقي. ويمكن تقسيم المنطقة إلى مجموعة من المناطق الطبيعية هي: منطقة الجبال في الجنوب الشرقي التي يمثلها ويميزها جبل جعلان وجبل قهوان؛ أما الضلع

الشرقي الذي يمتد باتجاه الشمال فيتميز بوجود سلسلة جبل خميس الذي يتكون من حاجز صخري في الزاوية الشمالية الشرقية من الإقليم ويرتفع إلى ١٠٧٦م. أما في الشمال فهناك النهاية الجنوبية للجبال المتصلة بسلسلة الجبل الأخضر. هناك أيضا الكثبان الرملية التي هي جزء من رمال الوهيبة التي تمتد باتجاه جنوب-غرب، وهي تشغل الزاوية الجنوبية الغربية من المنطقة. في الجهات الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية للمنطقة سهل غريني واسع ومنبسط يتكون من مراوح غرينية قديمة تنزح باتجاه الجنوب والجنوب الغربي. وتميل القنوات والمجاري المائية في هذا السهل إلى الالتقاء عند حافة الكثبان الرملية لتشكل وادي البطحاء الذي يجري باتجاه جنوب-شرق في السهل الغريني. الضفاف الجنوبية لهذا الوادي من منطقة الكامل وما يليها، محددة بشريط من بساتين النخيل، حيث تقع المستوطنات الرئيسية، وهي: الكامل والوافي وبلاد بني بوحسن وبلاد بني بوعلي، ويعد هذا السهل مركزاً للتجمع الاستيطاني والزراعي الحالي (Ministry of Petroleum and Minerals 1991: 7).

وإضافة إلى وادي البطحاء الذي يعد من أكبر هذه الأودية في المنطقة ويمر بعدد من القرى والمناطق، هناك أيضاً عدد كبير من الأودية الرئيسية وتفرعاتها المختلفة التي شكلت الأساس في الاستيطان عبر الزمن في هذا الإقليم؛ نظراً لما تقدمه من مصادر طبيعية، مثل: المياه الجوفية والسطحية وشبه السطحية، والتربة الخصبة التي هي عناصر أساسية للزراعة، ولعل من بين هذه الأودية وادي الجفر الذي يعد جزءا من سلسلة جبل قهوان، حيث ينبع من أعالي هذا الجبل على شكل مجموعة من الأخاديد تجري فيها المياه لمسافات إلى أن تصل إلى نقطة التقاء واحدة تصب في مجرى الوادي الرئيسي متجهة باتجاه عدد من المناطق السهلية والحصوية، مثل: الجلت والغملول ومصلى المشايخ، ويضم هذا الوادي عددا كبيرا من الرسومات الصخرية التي تم توثيقها أثناء المسح.

وإضافة إلى الأودية فإن الإقليم يضم عدداً كبيراً من السهول الحصوية والغرينية (يطلق عليها محليا سيوح وهي جمع سيح)، التي تمتد على طول الأودية وضفافها ومصاطبها، حتى إنّ بعض هذه السهول تسمى باسم الوادي نفسه الذي يقع بالقرب منها، ومنها سهول بوحرشة وتال والقطار والكتيتات والحمر وهويدفة وبوشخره ومصيبيخ، وهي السهول التي تم مسحها أثناء الموسم الأول من العمل الميداني في الإقليم. هناك أيضاً سهول أخرى مشهورة في المنطقة مثل الغملول والمعمور وأم البقر وغيرها الكثير.

أما المناطق الجبلية، فيمتاز إقليم جعلان الغربي بوجود سلسلة جبلية في الجانب الشمالي والشرقي المقابل لرمال الوهيبة التي يفصلها عن السلسلة الجبلية السهول الحصوية والغرينية والمناطق الزراعية، حيث بؤرة الاستيطان البشري. وتعد سلسلة جبل جعلان وجبل قهوان المعلم الجيولوجي المميز للمنطقة نظراً لحجمه ووفرة البيئتين الحيوية (مثل أنواع مختلفة من النباتات والحيوانات البرية ولاسيما الوعل)، وغير الحيوية التي أسهمت في تحويله إلى محمية طبيعية. من الجبال الأخرى المهمة في المنطقة: جبل الصخام (الفحم) الذي يضم كميات كبيرة من الفحم الحجري، إضافة إلى مجموعة من الجبال والتلال الصخرية والحصوية التي تأخذ مسميات محلية.

أما المظهر الطبيعي الآخر في هذا الإقليم فيتمثل في كثبان رملية هي جزء من رمال الوهيبة (حاليا رمال الشرقية). تحيط هذه الكثبان بالإقليم من الجهة الجنوبية والغربية، وتنقسم إلى عدد من التجمعات يطلق عليها أسماء محلية مختلفة. وأخيراً فإن الأطراف الشمالية الشرقية والجنوبية من الإقليم تضم سواحل وشواطئ صخرية وحصوية ورملية على طول بحر العرب والمحيط الهندي. وتشير الأدلة الأثرية إلى أن هذه السواحل لعبت دوراً مهماً في الاستيطان عبر الزمن، نتيجة لتوفر المصادر البحرية المختلفة التي كانت الأساس للاقتصاد القائم على الصيد البحري وجمع الرخويات .(Giraud 2009: 2-3)

المسح الأثري

بعد زيارة عام ٢٠٠٢م، التي تم فيها إجراء مسح قصير وسريع في وادي الجفر، ساعد على معرفة حدود وحجم المنطقة التي سيشملها المسح- بدأ في عام ٢٠١٠م العمل في إجراء مسح أثري منظم ومكثف، وقد خصص الموسم الأول من العمل الذي أجري في الفترة من ١٣ يناير إلى ٣ فبراير ٢٠١٠م لمسح وتوثيق المنطقة بهدف دراسة تاريخ الاستيطان فيها، ومن أجل تصميم قاعدة بيانات شاملة

عن المواقع والشواهد الأثرية التي تضمها، إضافة إلى جمع عينات سطحية للتحليل والتفسير.

أجري المسح بداية بشكل عام باستخدام السيارة للتعرف على طبوغرافية وتضاريس المنطقة ومدى انتشار الشواهد الأثرية؛ بهدف تقرير نوع المنهجية التي سيتم بها المسح، ومن أجل تقسيم المنطقة إلى مناطق فرعية لتسهيل عملية التوثيق؛ إذ قسمت المنطقة إلى مناطق فرعية، وتم مسح تسعة مناطق (الشكل ١) منها في الموسم الأول، على أن يتم تكملة المسح في المناطق الأخرى في الموسم الثاني. شمل المسح في هذه المناطق التسعة مساحة إجمالية تصل إلى نحو ٢٥ كيلومتراً مربعاً. بدأ المسح في منطقة الرسومات الصخرية في وادي الجفر، ثم المناطق الثمانية الأخرى (بمساحة إجمالية تصل إلى نحو ٢٤ كيلومتراً مربعاً) إلى الغرب والشمال الغربي من وادي الجفر، حيث عثر على عدد كبير من القبور التي تعود إلى نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد، أي الفترة المسماة بفترة حفيت في شبه الجزيرة العمانية؛ كما عثر على عدد آخر من الشواهد الأثرية منها بقايا لمساكن، وركامات حجرية، وتناثرات لمواد سطحية مثل الفخار والصوان تمثل نشاطاً بشرياً في المنطقة.

تقسيم المناطق اعتمد في المقام الأول على المسميات المحلية المستخدمة من قبل السكان القاطنين في جعلان، إضافة إلى الاعتماد على الملامح الطبوغرافية والجغرافية مثل التلال والأودية لتحديد حدود كل منطقة. كل منطقة أعطيت رمزاً ورقماً يبدأ بمختصر لاسم المنطقة متبوعاً برقم القبر (مثال ذلك al-Qatar = QA; Tomb 1= QA.T1). ومن ثم مسحت كل منطقة مشياً على الأقدام، بحيث تم مسح كل ملمح تضمه المنطقة من جبال وتلال حصوية أو صخرية ومنحدراتها وسفوحها ومصاطب وضفاف الأودية وحوافها والمناطق الحصوية والسهلية المستوية وقيعان الأودية. وشملت منهجية العمل ترقيم كل الشواهد الأثرية- مثل قبور فترة حفيت- ووصفها باستخدام استمارات توثيق صممت خصيصاً لهذا الغرض، ومن ثم تصويرها، ورسمها، وأخذ إحداثيات لكل ملمح أثري على حدة؛ من أجل وضعها على خرائط. الوصف شمل نوعية الأثر، وحالته، وقياساته، وملامحه، وخصائصه المعمارية، ونوعية المواد الأثرية التي

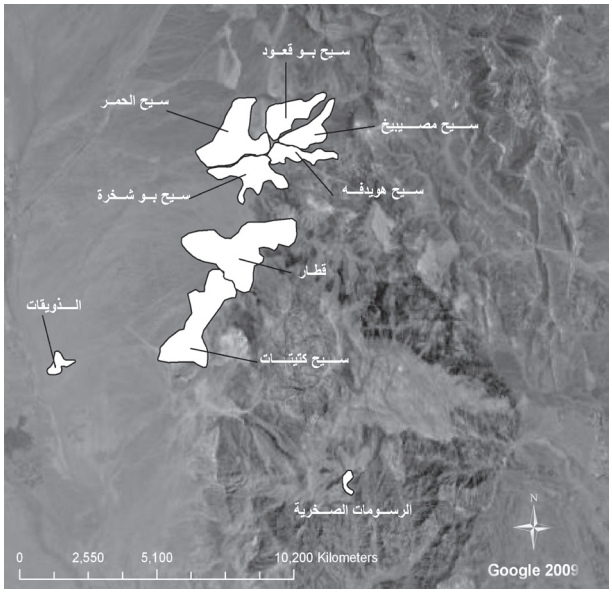

الشكل ١: خريطة عامة توضح المناطق التسعة التي تم مسحها في يناير-فبراير ٢٠١٠

يحويها، وأية ملاحظات أخرى، وخصصت لذلك مجموعة من الاستمارات.

دلائل النتائج الأولية

إضافة إلى الرسومات الصخرية التي تمثل معلماً أثرياً هاماً في المنطقة، والتي سيفرد لها مساحة أخرى للنقاش في مكان آخر (الجهوري والماحي، تحت الإعداد)، فإنه من الملامح الأثرية الأخرى المميزة لإقليم جعلان هي حقول المدافن التي تضم أعداداً كبيرة من قبور فترة حفيت، وخصوصاً القبور الركامية وخلايا النحل التي تمثل مظهرا مهماً للاستيطان البشري في المنطقة، من هنا كان الهدف من العمل هو توثيق هذه القبور من أجل تحديد توزيعها، وكثافتها، ومحاولة فهم مستوى النشاط الاستيطاني الذي تمثله في المنطقة. كما أشرنا في الأعلى تم مسح ثمان مناطق إلى الآن تشكل مساحة يبلغ مجملها نحو ٢٤ كيلومتراً مربعاً، وسُجّل ما مجموعة ١٦١١ قبراً (الشكل ٢).

وتشير النتائج إلى أن هذه القبور ليست مترافقة مع أي بقايا لمستوطنات سكنية، وهي منتشرة على نطاق واسع في المنطقة، وهذا هو الحال في بقية مناطق شبه الجزيرة العمانية، إذ إنّ هناك أعداداً كبيرة من هذه القبور لكن لا وجود لأي بقايا سكنية مترافقة معها أو بالقرب منها.

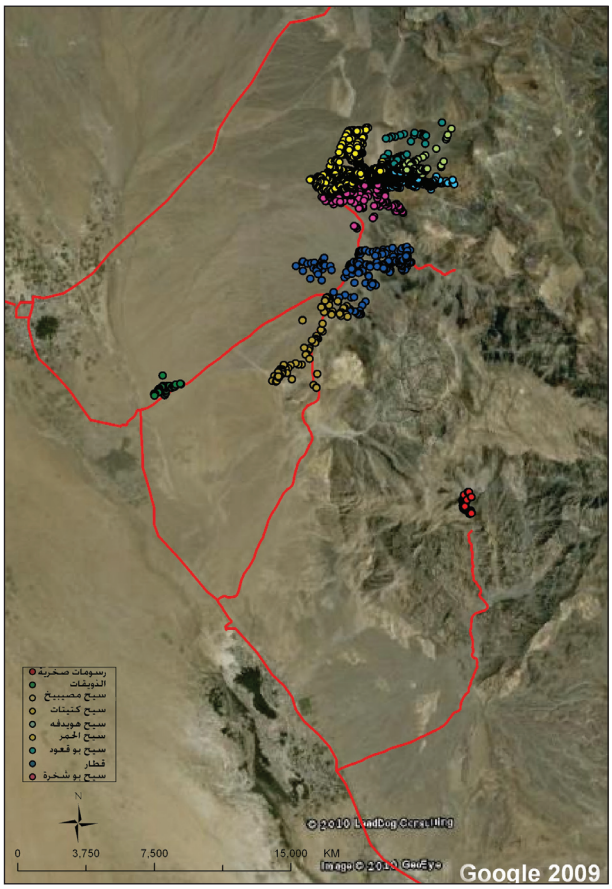

الشكل ٢: خريطة عامة توضح توزيع القبور التي تم توثيقها في المناطق الثمانية التي تم مسحها في يناير-فبراير ٢٠١٠

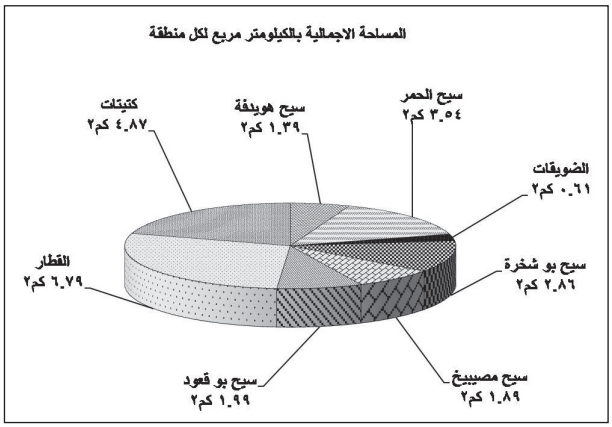

الشكل ٣: رسم بياني يوضح مساحة كل منطقة تم مسحها في يناير-فبراير ٢٠١٠

في بعض الأحيان عثر على تراكمات وصفوف من الحجارة لكن وظيفتها الأساسية غير محددة، ولم تقدم أي مواد أثرية تساعد في تحديد تاريخها، ومن ثم فهذا لا يمنع من كونها حديثة، فهناك الكثير من المواقع التي عثر عليها تشير إلى عملية إعادة استخدام حجارة القبور في بناء مصائد أو حظائر للحيوانات، وهي ظاهرة تم ملاحظتها بواسطة الكاتب أثناء مسح وادي عندام في عام ٢٠٠٤-٢٠٠٥م. في المقابل فإننا أيضا لا نستطيع أن ننفي احتمالية كونها أساسات أو أرضيات لمبانٍ قديمة، ولكن لا نستطيع التأكد من ذلك إلا بعد أن يتم التنقيب عنها. هذه التراكمات صغيرة الحجم يتراوح ارتفاعها عن مستوى سطح الأرض ما بين ٢٠ سم و٥٠ سم وقطرها ما بين ٣٠ سم ومتر ونصف أحياناً.

كثافة القبور

لقد أثمر المسح في المناطق الثمانية عن تسجيل ١٦١١ قبراً من قبور فترة حفيت (الشكل ٢)، وذلك في مساحة إجمالية تصل إلى ٢٤ كيلومتراً مربعاً، وهي منطقة صغيرة مقارنة بالمنطقة التي قام مشروع رأس الحد بمسحها في بقية أجزاء إقليم جعلان والتي وصلت إلى ٣٠٠٠ كيلومتر مربع وضمت ٣٠٩٦ قبراً (Giraud & Cleuziou 2009: 165). أي بكثافة تصل إلى نحو قبر واحد لكل كيلومتر مربع، وهي كثافة قليلة جداً مقارنة بكثافة القبور التي قمنا بتوثيقها

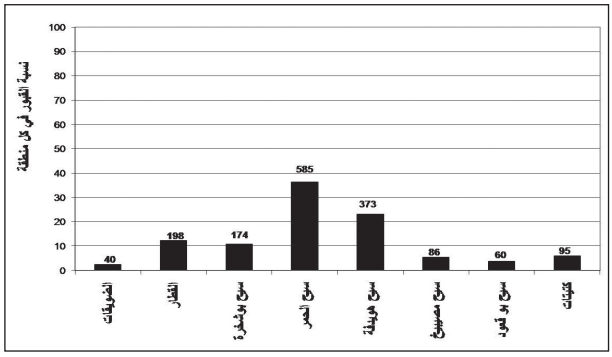

الشكل ٤: رسم بياني يوضح العدد الإجمالي ونسبة القبور التي تم توثيقها في كل منطقة

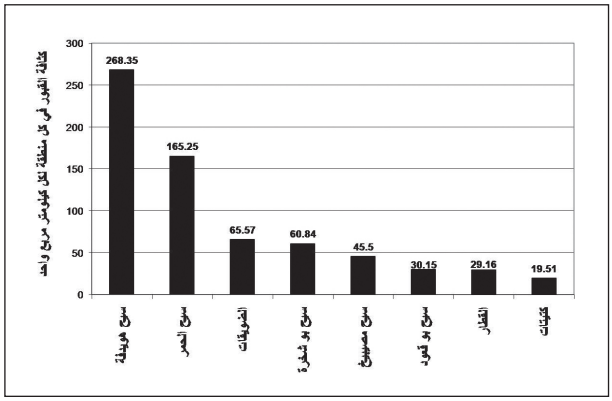

الشكل ٥: رسم بياني يوضح كثافة القبور في كل منطقة

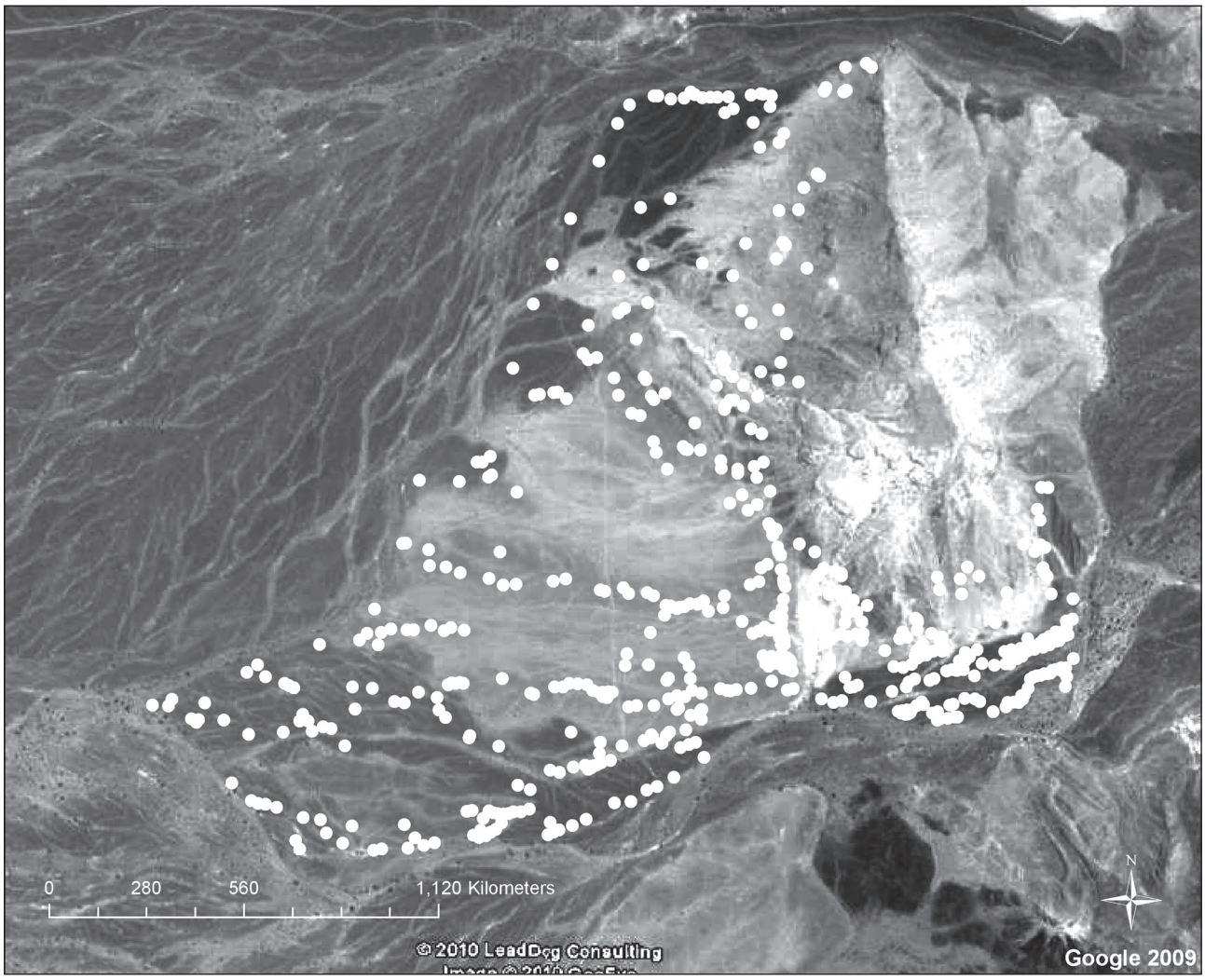

الشكل ٦: خريطة توضح توزيع وكثافة القبور في سيح الحمر (كثافة عالية).

والتي تمثل نحو ٦٧ قبراً لكل كيلو متر مربع. وهذا يشير إلى أن الجزء الغربي من إقليم جعلان هو الأكثر كثافةً من حيث عدد قبور فترة حفيت.

يشير الرسم البياني (الشكل ٣) إلى المساحة الإجمالية لكل منطقة، إذ نلاحظ أن القطار وكتيتات هما أكبر المناطق مساحةً، على حين يشير الرسم البياني (الشكل ٤) إلى المجموع الكلي للقبور في كل منطقة حيث نرى أن سيح الحمر وسيح هويدفة قدما أكبر عدد من القبور مقارنةً ببقية المناطق.

بناء على هذه المعطيات المتعلقة بالمساحة الإجمالية وعدد القبور في كل منطقة نستطيع أن نقدر كثافة القبور في كل منطقة (الشكل ٥)، فالبيانات الإحصائية تشير إلى أنه على الرغم من أن كتيتات والقطار يمثلان أكبر المناطق مساحة إلا أنهما أقل كثافةً من القبور، فهما يمثلان على التوالي ١٩,٥١ و٢٩,١٦ قبراً لكل كيلومتر مربع. وتجدر الإشارة هنا إلى أن المسح الأثري في كتيتات لم يكتمل، ما يعني أننا قد نخرج بصورة مغايرة لها بعد اكتمال المسح. في المقابل، فإنه على الرغم من أن سيح هويدفة وسيح الحمر يمثلان أصغر المناطق مساحة إلا أنهما قدما أكبر كثافة للقبور مقارنة ببقية المواقع، إذ بلغت كثافة القبور في كل منهما على التوالي ٢٦٨,٣٥ و١٦٥,٢٥ قبراً لكل كيلومتر مربع.

إن الأسباب الكامنة وراء هذا النمط لتوزيع القبور وكثافتها غير واضحة، وربما تعود إلى طبيعة وطبوغرافية كل منطقة والنشاطات البشرية الموجودة؛ فالمناطق ذات الكثافة العالية

اللوحة ١: تجمع لقبور في سيح الحمر.

من القبور- على سبيل المثال- مناطق مغلقة ذات مصاطب مسطحة بين التلال الصخرية وعلى طول سفوحها، فضلاً على أنها بعيدة عن المناطق المأهولة بالسكان أو المناطق التي بها تنمية سريعة، والطبيعة الجيولوجية لبعض هذه المناطق تُصّعِب على الإنسان الوصول إليها أو استيطانها (الشكل ٦؛ اللوحتان ١، ٢)، أما المناطق ذات الكثافة القليلة من القبور فهي مناطق مفتوحة على مصاطب وضفاف الأودية، وتكون في كثير من الأحيان في مجاري الأودية أو على مستوى سطحها، ما يجعلها عرضة للتجوية والتعرية المستمرة، إضافة إلى أنها توجد بالقرب من المناطق المأهولة بالسكان أو المناطق التي بها تنمية سريعة، ما يجعلها عرضة للنهب والتدمير المستمر (الشكل ٧ ؛ اللوحة ٣). ونلحظ أن القبور التي توجد في المناطق ذات الكثافة العالية تميل إلى أن تكون على شكل مجموعات يتداخل بعضها بعضا أحياناً إلى درجة يصعب معها الفصل بينها، على عكس القبور التي وجدت في المناطق ذات الكثافة القليلة؛ فهي عادة ما تكون متناثرة عبر مسافات متقطعة، وغالباً ما تكون على شكل خط مستقيم كتلك التي تتمركز على ضفاف الأودية وحوافها.

حالة القبور

الغالبية العظمى من القبور المسجلة في كل المناطق في حالة حفظ سيئة (الشكل ٨)، إذ تمثل نحو ٥٧٪ من إجمال القبور التي تم توثيقها، على حين أن ثلث القبور المسجلة في حالة حفظ جيدة، و١١٪ منها في حالة حفظ جيدة جدا. هذا النمط طبيعي يمكن ملاحظته في مناطق أخرى من

اللوحة ٢: أحد القبور المحفوظة بشكل جيد في سيح الحمر

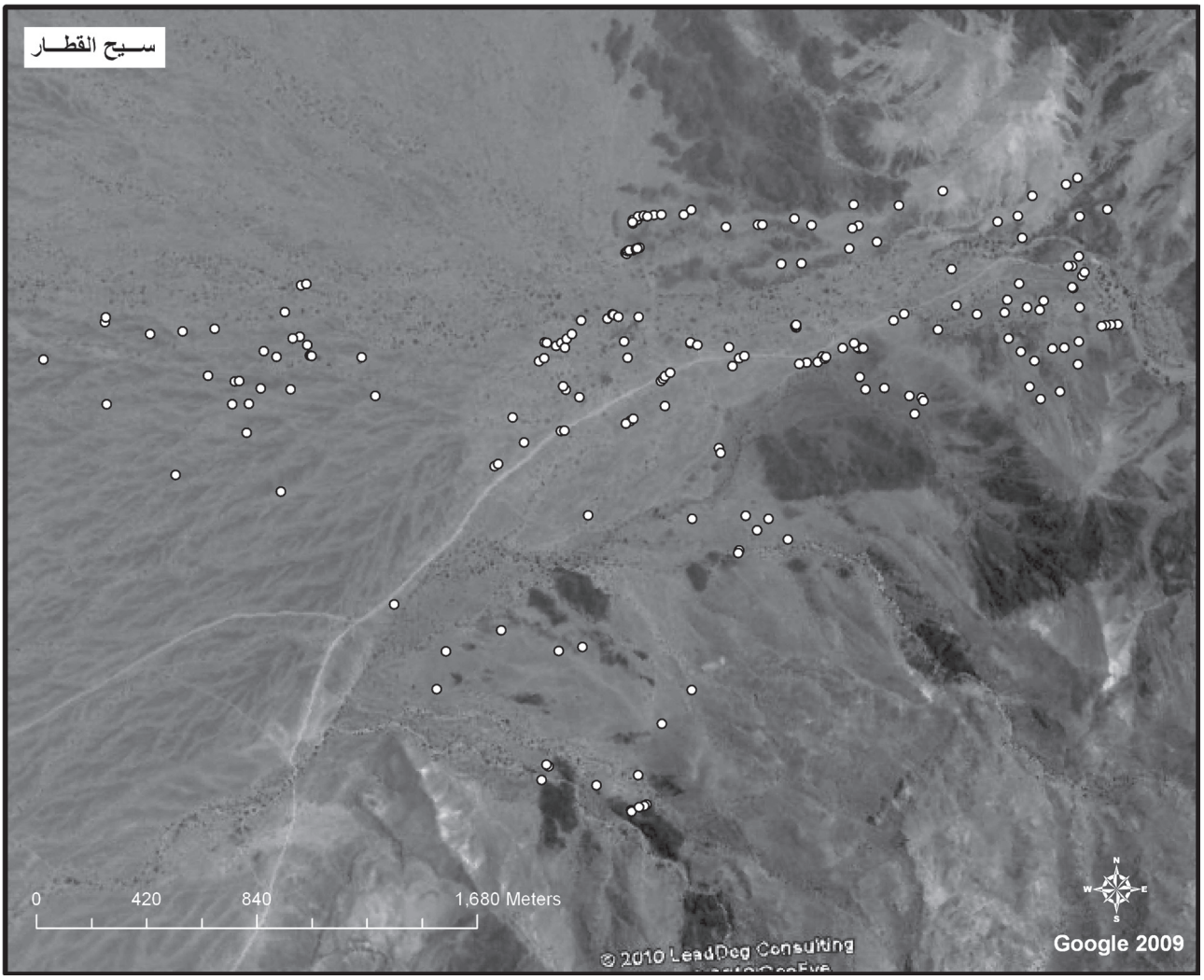

الشكل ٧: خريطة توضح توزيع وكثافة القبور في سيح القطار.

شبه الجزيرة العمانية ضمت قبوراً من فترة حفيت؛ كما هو الحال في مسح قبور فترة حفيت من وادي عندام (al-Jahwari 2008: 132-148). بسبب أن قبور حفيت عرضة للنهب والدمار الناتجة عن عوامل التجوية والعوامل البشرية. هذا النمط الخاص بحالة القبور يمكن أيضاً أن يلاحظ في كل منطقة من مناطق المسح في جعلان على حدة (الشكلان ٩، ١٠) حيث إنّ القبور التي في حالة حفظ سيئة هي الأكثر على خلاف القبور التي في حالة حفظ جيدة فهي الأقل عدداً. مرة أخرى، قد يعود هذا الأمر إلى العوامل الطبوغرافية والبشرية.

صعوبات التفسير والتحليل

تظهر القبور مجموعة من الصعوبات التي لا تسمح بإعطاء صورة شاملة عن نمط الاستيطان في إقليم جعلان الغربي. ومن بين هذه الإشكالات الآتي:

تأريخ القبور

لم تقدم هذه القبور سوى عدد قليل جداً من اللقى، غالبيتها كسر فخارية من فترات مختلفة ليس منها ما يعود إلى فترة حفيت؛ وعثر أيضاً على بعض الخرز من الحجارة وشظايا عظام ومحار. ناقش الكاتب مؤخراً (al-Jahwari 2008، والجهوري ٢٠١٠)، في دراسته لهذه القبور من فترة حفيت بعض الإشكالات المتعلقة بمسألة تأريخ هذه القبور، والتي تعد من أكبر الصعوبات التي تواجه العاملين في حقل الآثار في شبه الجزيرة العمانية؛ إذ إن محاولات الكاتب من خلال المسوحات الأثرية التي أجراها في وادي عندام وإقليم

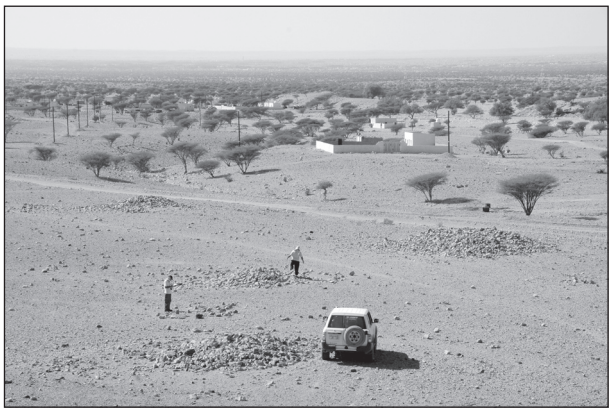

اللوحة ٣: بعض القبور المسجلة في سيح القطار ويلاحظ قربها من المناطق السكنية والطرق التي تخترقها.

جعلان تؤيد وجود إشكال في تأريخ هذا النوع من القبور. فكما هو الحال في مسح وادي عندام، فإن الدليل الأثري المكتشف من مسح إقليم جعلان يشير إلى إشكال في التأريخ بسبب حالة الحفظ السيئة للقبور، وقلة المكتشفات الأثرية التي لا يعود أي منها إلى فترة حفيت بل إلى فترات لاحقة، وبخاصة العصر الحديدي، وهذا بطبيعة الحال لا يساعد على فهم التسلسل الزمني والتطور الحضاري لفترة حفيت في شبه الجزيرة العمانية.

إن الدليل الأثري المتعلق بقبور فترة حفيت المكتشف في أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة العمانية (الجهوري، ٢٠١٠م) - بما فيها وادي عندام والجزء الغربي من إقليم جعلان- يشير إلى أن بعض هذه القبور ربما بني في فترة حفيت، في حين أن بعضها ربما أعيد استخدامها أو بني في فترات لاحقة لفترة حفيت، مثل االعصر الحديدي والفترات الهلينستية-الفرثية (al-Jahwari 2008: 61, 165-166). من هنا، فإن أي مسح أثري لقبور الركامات الحجرية دائما ما يضع في الاعتبار التساؤل عن إمكانية تأريخ حقول المدافن الكبيرة التي تحتوي على هذا النوع من القبور إلى فترة حفيت، وخصوصاً إذا ما وضعنا في الاعتبار أيضا غياب الدليل الأثري المتعلق بمستوطنات السكان الذين دفنوا في هذه المقابر (كما سيرد لاحقاً).

على الرغم من أن بعض القبور التي وُثّقت في إقليم جعلان قدمت قليلاً من المواد الأثرية من فترات لاحقة قد تكون اقتحامية (مثل فخار الفترات الإسلامية) في كثير من الأحيان نتيجة الاستخدام الحديث أو النشاط البشري الحديث في المنطقة، إلا أننا نستطيع أن نقول إن غالبية القبور تعود إلى فترة حفيت، ولاسيما تلك التي تكون بعيدة عن ضفاف الأودية أو المناطق المأهولة، وهي أكثر حفظاً وأقلُ عرضةً للنهب والدمار بحكم موقعها، إذ أنها تحتفظ بشكلها المعماري المميز لفترة حفيت، ومثالها الركامات الحجرية وخلايا النحل. وبعبارة أخرى، نستطيع القول إن موقع القبر يلعب دوراً مهماً في فهمنا للتطور الحضاري لهذه القبور (الجهوري، ٢٠١٠م). ثم إن جميع القبور موجودة على المواقع نفسها، ولها بناء متشابه، وتقع في مناطق لا يوجد بها أي دليل استيطاني من أي فترة زمنية أخرى، ما يقترح أن القبور تنتمي إلى الفترة ذاتها، وهذا الأمر أيضاً تم ملاحظته في وادي عندام (al-Jahwari 2008: 72-73 والجهوري ٢٠١٠).

أين هي المستوطنات؟

كما هو الحال بالنسبة لبقية أنحاء شبه الجزيرة العمانية، لم يتم العثور على أي بقايا مستوطنات مترافقة مع القبور أو بالقرب منها؛ ما يجعلنا نتساءل عن الأسباب وراء غياب البقايا السكنية من هذه الفترة بالقرب من القبور. الحقيقة أن الدليل المتوافر لا يساعدنا في تقديم

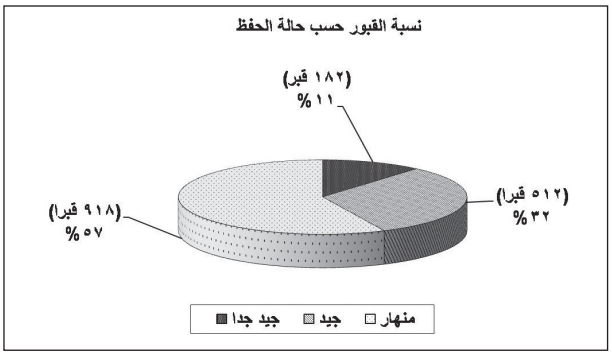

الشكل ٨: رسم بياني يوضح نسبة القبور بناء على حالة الحفظ.

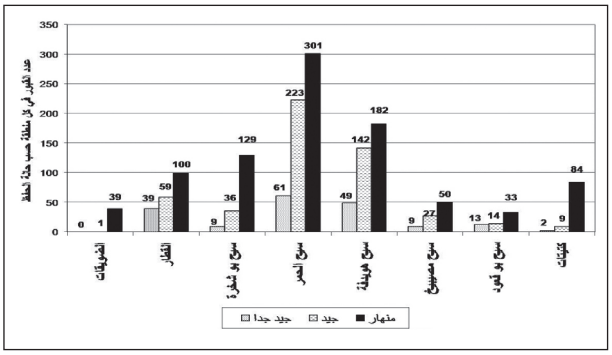

الشكل ٩: رسم بياني يوضح نسبة القبور في كل منطقة بناء على حالة الحفظ.

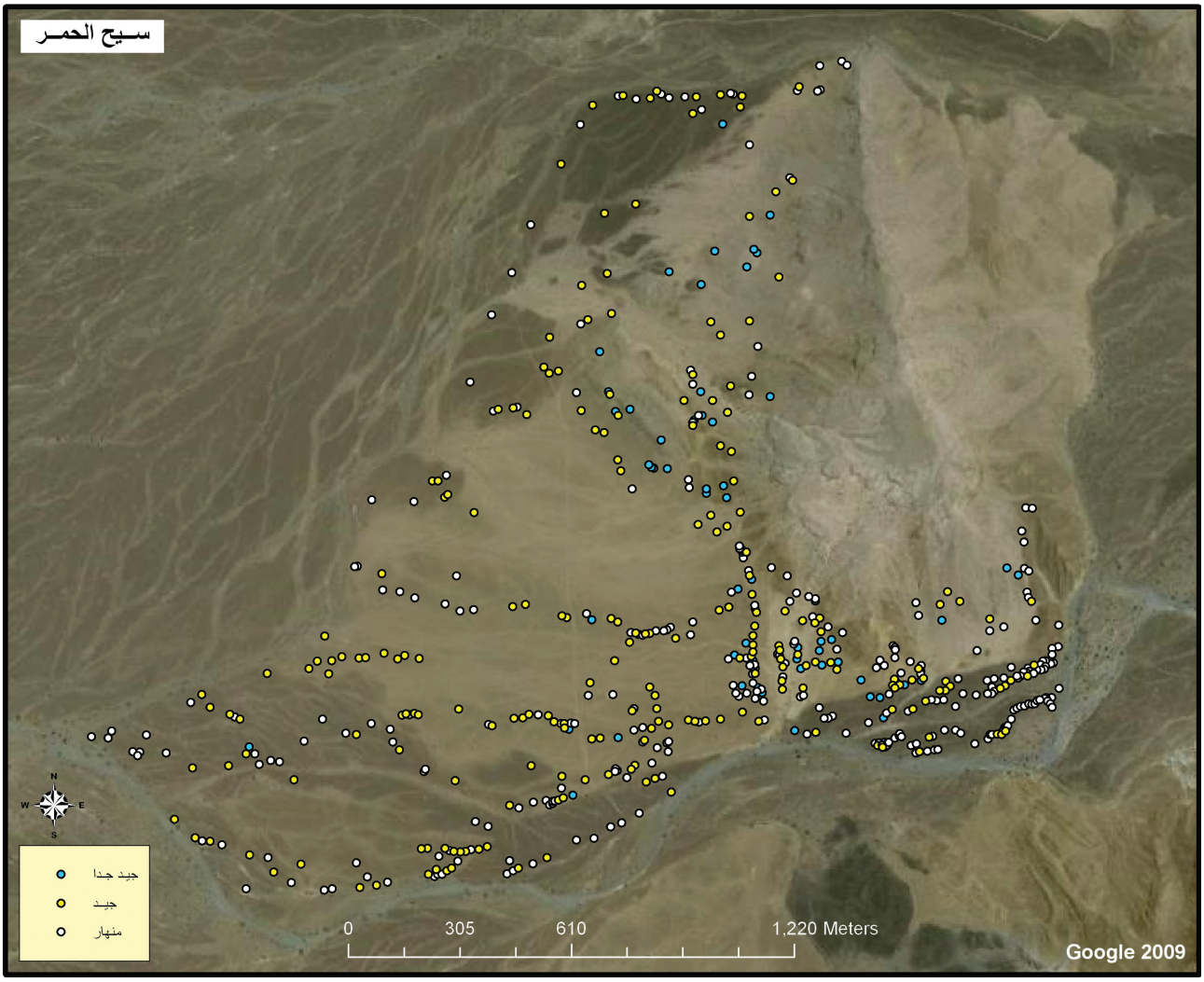

الشكل ١٠: خريطة توضح حالة القبور المسجلة في سيح الحمر.

أسباب لهذا النقص، ومن ثم فإننا لسنا في موضع يسمح لنا بالحديث عن أسباب بذاتها؛ إلا أنه من الممكن وضع بعض الفرضيات أو التساؤلات، ومنها: هل يعود هذا النقص إلى كثافة العمل الأثري في شبه الجزيرة العمانية؟ إن هذه الفرضية ربما تكون بعيدة الاحتمال لأنه على مدار خمسة عقود من العمل الأثري في المنطقة لم نجد فيها إلا عدداً قليلاً جداً من البقايا السكنية من فترة حفيت، ومنها هيلي ٨ (Cleuziou 1980; 1981; 1989a; 1989b) ورأس الحد (cf. Cleuziou 2003: 141; Cleuziou & Tosi 2007: fig. 92, p. 107). ومؤخراً بات (Possehl, Thornton & Cable 2009). لذلك ليس من المتوقع أن يكون نقص البقايا السكنية له علاقة بكثافة العمل الأثري.

إذا كان الأمر كذلك، فما هي الاحتمالية الأخرى لتفسير هذا النقص؟ هل يمكن أن يعود إلى طبيعة الاستيطان في تلك الفترة؟ من المحتمل أن سكان فترة حفيت الذين بنوا- أو بدقة: الذين استخدموا- هذه القبور كانوا بدواً رحلاً يسكنون في مخيمات من مباني مبنية من مواد عضوية قابلة للتلف عبر الزمن، واستخدموا المنطقة للرعي. ومن هنا، من غير المتوقع العثور على بقايا هذه المباني. ولكن السؤال هو إذا كان لدينا هذا العدد الضخم من القبور في حيز جغرافي صغير، كما هو الحال في جعلان، مع الأخذ بعين الاعتبار أنها قبور جماعية تضم أحيانا ما بين ٣ إلى ٣٠ فردا (Frifelt 1975a: 67; 1975b: 386 & 1976: 57;))

Salvatori 2001: 71; Cleuziou & Tosi 2007: 112). وكذلك لو اعتددنا بالوقت والجهد المبذول في إنشاء هذه القبور- فهل نتحدث عن مجموعات كانت غير مستقرة استقراراً دائماً؟ هل كانت تمارس استقراراً مؤقتاً؟ الدليل من هيلي ٨ وبات على الأقل يشير تقريبا إلى استقرار «شبه دائم» إذ توجد منصات لأبراج من قوالب الطين استخدمت أو طورت عمارتها- في مراحل لاحقة في فترة أم النار- إلى مبانٍ ضخمة يطلق عليها أبراج فترة أم النار.

من الفرضيات الأخرى التي يمكن أيضاً أن تقدم لتبرير نقص الدليل الأثري على البقايا السكنية أنها ربما طمرت في باطن الأرض بسبب الترسبات الفيضية (alluvial sedimentation) المستمرة عبر الزمن؛ إلا أن محاولات الكاتب في وادي عندام وجعلان للبحث عن أي بقايا سكنية من فترة حفيت في المقاطع الناتجة عن عمليات الحفر في باطن الأرض سواء كانت للبناء أو الزراعة أو حفر الآبار وغيرها من أنشطة التحريك للتربة الناتجة عن الزراعة- على سبيل المثال- لم تثمر عن الكشف عن أي دليل لبقايا سكنية؛ من هنا، فإن السؤال حول أسباب هذا النقص يبقى قائماً إلى أن يتم الكشف عن دليل أثري لهوية مستوطنات الأقوام الذين بنوا هذا العدد الضخم من القبور واستقروا، واستغلوا الموارد الطبيعية الملائمة للاستقرار؛ أي هل كان نوع هذا الاستقرار مؤقتاً، موسمياً أم دائماً؛ في أماكن مختلفة من شبه الجزيرة العمانية.

الخلاصة

لقد استعرضت هذه الورقة النتائج الأولية للمسح الأثري الذي أجري في الجزء الغربي من إقليم جعلان، وتشير النتائج إلى وجود دليل أثري لاستيطان المنطقة منذ نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، كما يستدل على ذلك من خلال العدد الكبير من القبور التي تنتمي إلى فترة حفيت، والتي ربما قد تشير إلى كثافة عالية للاستيطان، إلا أنه لا يوجد دليل على أي بقايا سكنية تعود إلى هذه الفترة في هذا الجزء من الإقليم. إن هذا الدليل يطرح تساؤلات كثيرة تم استعراضها ومناقشتها في هذه الورقة التي حاولت الإجابة على بعض التساؤلات من خلال طرح فرضيات ما تزال تحتاج إلى تدعيم بالدليل الأثري الذي ربما سيكتشف من خلال العمل القادم؛ إما من خلال الموسم القادم من المسح الأثري في الجزء الغربي من إقليم جعلان، أو من خلال أعمال تنفذ في المستقبل في أنحاء أخرى من شبه الجزيرة العمانية.

المرحلة القادمة من العمل الأثري في الجزء الغربي من إقليم جعلان ستتضمن استكمال بقية المناطق التي لم يتم مسحها بعد، والتي أظهر المسح العام لها والصور الجوية وجود عدد كبير من القبور التي لم يتم توثيقها بعد. ولعله من الجيد أيضاً إجراء حفريات في بعض هذه القبور وفي التراكمات الحجرية الصغيرة القريبة منها، ليساعد ربما في تقديم معلومات تساعد لفهم نمط الاستيطان في المنطقة، وللإجابة على بعض التساؤلات التي لها علاقة بتأريخ القبور، وتطور العمارة وعادات الدفن في شبه الجزيرة العمانية خلال العصر البرونزي المبكر.

د. ناصر بن سعيد الجهوري: قسم الآثار، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، ص.ب. ٤٢، الرمز البريدي ١٢٣ الخوض، مسقط، سلطنة عمان

الهوامش:

(١) هذا المشروع ممول من قبل جامعة السلطان قابوس، وضم فريق المشروع كلا من الباحث والزملاء الأفاضل: ناصر الهنائي، ويعقوب البحري، ويعقوب الرحبي، من قسم الآثار بجامعة السلطان قابوس.

(٢) يتقدم الباحث بالشكر إلى الفاضل محمد بن سعيد المسروري مدير دائرة البيئة بالمديرية العامة للبلديات الإقليمية والبيئة بجنوب الشرقية آنذاك، والذي لاحظ وجود عدد من الرسومات الصخرية في وادي الجفر، ومن ثم قام بإبلاغ الباحث لمعاينتها.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

الجهوري، ناصر سعيد، ٢٠١٠، «قبور الركامات الحجرية في شبة الجزيرة العمانية: إشكالية التأريخ لقبور فترة حفيت (نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد)»، **مجلة دراسات عمانية**، العدد ١٦، مطبعة جامعة السلطان قابوس: مسقط، عمان.

ثانياً: المراجع غير العربية

Al-Jahwari, N. S. 2008. Settlement Patterns, Development and Cultural Change in Northern Oman Peninsula: A multi-tiered approach to the analysis of long-term settlement trends. Unpublished PhD., Durham University: UK

Al-Jahwari, N. S. 2009. «The Agricultural basis of Umm an-Nar Society in the Northern Oman Peninsula (2500-2000 BC) », **Arabian Archaeology and Epigraphy**, 20 (2): 122-133.

Biagi, P. 1988a. Excavations at Ra›s Al-Hadd, 1988: Preliminary Report, (Unpublished Report).

Biagi, P. 1988b. «Surveys along the Oman Coast: Preliminary Report on the 1985-1988 Campaigns», **East and West**, 38(1-4 December 1988): 271-291.

Biagi, P. 1988c. Preliminary Report on the Survey Carried out along the Coastline between Bimmah and Qalhat. (Unpublished Report).

Biagi, P. 1990. «Excavations at Site RJ-1, Structure 5: Autumn 1987 Campaign». In: S. Cleuziou, J. Reade & M. Tosi (eds.). The Joint Hadd Project Summary Report on the Third Season: October 1987- February 1988, 4-10. (Unpublished Report).

Biagi, P. 2004. «Surveys along the Oman Coast: A Review of the Prehistoric Sites Discovered Between Dibab and Qalhāt» **Adumatu**, 10 (July 2004): 29-50.

Blau, S. 2001. «Fragmentary Endings: A Discussion of 3rd-millennium BC Burial Practices in the Oman Peninsula» **Antiquity**, 75: 557-570.

Carter, R. A. 1997a. «**Defining the Late Bronze Age in Southeast Arabia: Ceramic Evolution and Settlement during the Second millennium BC**». Ph.D Dissertation, the University College London, London, UK

Carter, R. A. 1997b. «The Wadi Suq Period in South-East Arabia: A Reappraisal in the Light of Excavations at Kalba, UAE», **Proceedings of Seminar for Arabian Studies**, 27: 87-98.

Cleuziou, S. & Tosi, M 1985. «Archaeological Sites in the Ra's al-Junayz Area», The Joint Hadd Project: Summary Report on the First Season, December 1985. (Unpublished Report).

Cleuziou, S. & Tosi, M. 1990a. A Short Report on the Excavations Carried out at Ra's Al-Junayz during the 5th Campaign of the French-Italian Team (December 14th 1989 to March 2nd 1990). (Unpublished Report).

Cleuziou, S. & Tosi, M. 1990b. «Other Operations Carried out in the Ra's Al-Junayz Embayment». In: S. Cleuziou, J. Reade & M. Tosi (eds.), The Joint Hadd Project Summary Report on the Third Season: October 1987- February 1988, 28-30. (Unpublished Report).

Cleuziou, S. & Tosi, M. 1994. The Joint Hadd Project: A Short Preliminary Report on the Work of the Seventh Field Season. (Unpublished Report).

Cleuziou, S. & Tosi, M. 2000. «Ra›s al-Jinz and the Prehistoric Coastal Cultures of the Ja›alān», **Journal of Oman Studies**, 11: 19-73.

Cleuziou, S. & Tosi, M. 2007. **In the Shadow of the Ancestors: the Prehistoric Foundations of the Early Arabian Civilization in Oman**, The Ministry of Heritage and Culture: Muscat, Oman.

Cleuziou, S. 1980. «Three Seasons at Hili: Toward a Chronology and Cultural History of the Oman Peninsula

in the 3rd Millennium B.C.», **Proceedings of Seminar for Arabian Studies**, 10: 19-32.

Cleuziou, S. 1981. «Oman Peninsula in the Early Second Millennium BC». In: M. Taddei (ed.). **South Asian Archaeology** 1979, 279-293.

Cleuziou, S. 1989a. «Excavations at Hili 8: A Preliminary Report on the 4th to 7th Campaigns», **Archaeology of the United Arab Emirates**, 5: 61-87.

Cleuziou, S. 1989b. «The Chronology of Protohistoric Oman as Seen from Hili». In: P. Costa & M. Tosi (eds.) **Oman Studies: Papers in the Archaeology and History of Oman**, 63: 47-78. IsMEO: Roma.

Cleuziou, S. 2002. «The Early Bronze Age of the Oman Peninsula from Chronology to the Dialectic of Tribe and State Formation. In: S. Cleuziou, M. Tosi & J. Zarins (eds.) **Essays on the Late Prehistory of the Arabian Peninsula**, Serie Orientale Roma 93: 191-236. IsIAO: Roma.

Cleuziou, S. 2003. «Early Bronze Age Trade in the Gulf and the Arabian Sea: The Society Behind the Boats». In: D. T. Potts, H. al-Naboodah & P. Hellyer (eds.) **Archaeology of the United Arab Emirates: Proceedings of the First International Conference on the Archaeology of the UAE**, 133-148. Trident Press Ltd: London.

de Cardi, B., Bell, R. D. & Starling, N. J. 1979. «Excavations at Tāwī Silaim and Tāwī Saīd in the Sharqīa, 1978», **Journal of Oman Studies**, 5: 61-94.

de Cardi, B., Doe, D. B. & Roskams, S. P. 1977. «xcavation and Survey in the Sharqiyah, Oman, 1976», **Journal of Oman Studies**, 3(1): 17-33.

Edens, C. 1990. «Brief Survey Around Bilad Bani Bu Hassan». In: S. Cleuziou, J. Reade & M. Tosi (eds.) The Joint Hadd Project Summary Report on the Third Season: October 1987- February 1988, 44-55. (Unpublished Report).

Frifelt, K. 1970. «Jamdat Nasr Graves in the Oman», **Kuml**, 355-383.

Frifelt, K. 1975a. «A Possible Link between the Jemdet Nasr and the Umm an-Nar Graves of Oman», **Journal of Oman Studies**, 1, pp. 57-80.

Frifelt, K. 1975b. «On Prehistoric Settlement and Chronology of the Oman Peninsula», **East and West**, 25(3-4): 359-424.

Frifelt, K. 1976. «Evidence of a Third Millennium B.C. Town in Oman», **Journal of Oman Studies**, 2: 57-73.

Giraud, J. & Cleuziou, S. 2009. «Funerary Landscape as part of the Social Landscape and its Perceptions: 3000 Early Bronze Age Burials in the Eastern Ja›alān (Sultanate of Oman) », **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies**, 39: 163-180. Archaeopress: Oxford.

Giraud, J. 2009. «The Evolution of Settlement Patterns in the Eastern Oman from the Neolithic to the Early Bronze Age (6000–2000 BC) », **C. R. Geoscience**, xxx: 1-22. Elsevier Masson SAS.

Ministry of Petroleum and Minerals 1991. **Geological Map of Ja›alan (Sheet NF 40-8 E, Scale: 1:100,000)**, Muscat: Oman

Possehl, G. L., Thornton, C. P. & Cable, C. M. 2009. BAT 2009: A Report from the American Team (Upublished Report).

Salvatori, S, 2007. «1981-1985 Excavations Report» **Journal of Oman Studies**, 14: 5-53. Ministry of Heritage and Culture: Muscat.

Salvatori, S. 2001. «Excavations at the Funerary Structures HD10-3.1, 3.2, 4.1, 4.2 and 2.1 at Ra's Al-Hadd (Sultanate of Oman) », **Estratto da Rivistadi Archeologia**, 25: 67-77. Giorgio Bretschneider Editore: Roma.

Tosi, M. 1982. **A Possible Harappan Seaport in Eastern Arabia: Ra›s Al-Junayz in the Sultanate of Oman**, A paper delivered at the First International Conference on Pakistan Archaeology, Peshawar, March 1-4 1982.

Uerpmann H-P., Uerpmann M. & Jasim S.A. 2006. **Funeral Monuments and Human Remains of the Jebel al-Buhais**, Tübingen: Kerns Verlag.

Uerpmann, M., Uerpmann, H-P. & Jasim, S. A. 2000. «Stone Age Nomadism in SE-Arabia- Palaeo-economic Considerations on the Neolithic Site of Al-Buhais 18 in the Emirate of Sharjah, U.A.E.», **Proceedings of Seminar for Arabian Studies**, 30: 229-234.

Velde, C. 1992. **Die Spätbronzezeitliche und früheisenzeitliche Siedlung und ihre Keramik in Shimal/Ras al-Khaimah (Vereinigte Arabische Emirate)**, MA Dissertation: Göttingen, Germany

Velde, C. 2003. «Wadi Suq and Late Bronze Age in the Oman Peninsula». In: D. T. Potts, H. al-Naboodah & P. Hellyer (eds.). **Archaeology of the United Arab Emirates: Proceedings of the First International Conference on the Archaeology of the UAE**, 102-113. Trident Press Ltd., London.